Route Educational & Social Science Journal

Volume 6(4) ; March 2019

Artical History

Received/ Geliş	Accepted/ Kabul	Available Online/yayınlanma
26. 11 .2018	3.1.2019	15.3.2019

الامراض البشرية وطرق علاجها بمصر وبلاد الشام في العصر المملوكي

(٦٤٨- ٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧م)

The Human diseases and Methods of treatment in Egypt and Al- sham in Al- Mumluki period (648-923 / 1250-1517)

أ.م.د. لمى فائق أحمد السامرائي

الجامعة المستنصرية – كلية الآداب – قسم التاريخ – تاريخ اسلامي

Assist. Prof. Dr. Luma Faik Ahmed Al-Sammaraai

Al-Mustansiriyah University - College of Arts/ History Department - Islamic History

ملخص البحث

بدأت الدراسة بالحديث عن أسباب ومسببات الأمراض في مصر والشام في العصر المملوكي، وهي في الحقيقة لاتخرج عن سببين رئيسيين هما الأسباب البشرية أولا وتتمثل في السلوكيات الغير صحية لأفراد المجتمع، مثل عدم الاهتمام بنظافة البدن والملبس وتلوث المأكل والمشرب والاسراف في المأكل والمشرب وعدم الاهتمام بنظافة أماكن الإقامة والبيئة المحيطة ونقص الوعي الصحي، إضافة إلى الانحراف الخلقي، كما تمثل الحروب أحد الأسباب البشرية للإصابة بالأمراض حيث ان الحروب يصنعها البشر، وهي تستهلك القوى البشرية ويترتب على ذلك ظهور المجاعات، إضافة إلى الأعداد الهائلة من القتلى، والتي يترتب على تعفن جثثهم انتشار الأوبئة .

كما تعد الأسباب الطبيعية التي لا دخل للبشر فيها ولكنها من صنع الطبيعة مثل طبيعة المناخ في مصر والشام والمجاعات والزلازل والحشرات والآفات الزراعية، لها دور كبير في انتشار الأمراض بمصر والشام .

الكلمات المفتاحية (السلوكيات ، المناخ ، الأمراض)

Abstract

It discussed the reasons and causes of these diseases, Which in fact does not come out for two main reasons : first human reasons which represents through the unhealthy behaviors of community members .

Second : the natural causes which human don't have role in it , but the design of nature that have a significant role in the spread of disease in Egypt and El-Sham region . Then moved to talk about these diseases and methods of treatment which divided into two types, the endemic diseases and imported diseases .

Also the study discussed the medical education and the role of the endowments and institutions that focused on teaching medicine, and health care facilities of various types . in addition mentioning the medical Renaissance and the relationship of medical doctors with Sultans and, princes, and those who have an important role in the renaissance such as doctors, pharmacists, nurses, and medical machinery and tools used in that period .

المقدمة

ان مصر وبلاد الشام خلال هذا العصر كانتا محط أنظار الجميع لأن أرضهما كانت المسرح التي وقعت عليه الحروب الصليبية والمغولية التتارية وغيرها من المعارك بين الأيوبيين والمماليك وبعضهم البعض وما كان ينجم عن ذلك من كثرة المصابين والقتلى، والتخريب والتدمير الأمر الذي كان يؤدي إلى ظهور الأوبئة والطواعين .

لذلك بدأت الدراسة بالحديث عن أسباب ومسببات الأمراض في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي، وهي في الحقيقة لاتخرج عن سببين رئيسيين هما الأسباب البشرية أولا وتتمثل في السلوكيات الغير صحية لأفراد المجتمع، مثل عدم الاهتمام بنظافة البدن والملبس وتلوث المأكل والمشرب والاسراف في المأكل والمشرب وعدم الاهتمام بنظافة أماكن الإقامة والبيئة المحيطة ونقص الوعي الصحي، إضافة إلى الانحراف الخلقي، كما تمثل الحروب أحد الأسباب البشرية للإصابة بالأمراض حيث ان الحروب يصنعها البشر، وهي تستهلك القوى البشرية ويترتب على ذلك ظهور المجاعات، إضافة إلى الأعداد الهائلة من القتلى، والتي يترتب على تعفن جثثهم انتشار الأوبئة .

كما تعد الأسباب الطبيعية التي لا دخل للبشر فيها ولكنها من صنع الطبيعة مثل طبيعة المناخ في مصر وبلاد الشام والمجاعات والزلازل والحشرات والآفات الزراعية، لها دور كبير في انتشار الأمراض بمصر وبلاد الشام .

فالأمراض توجد في كل زمان ومكان، ولكن لكل مكان أمراض معينة يشتهر بها وهي الأماكن التي تتوفر فيها البيئة المعينة التي يقتضيها كل نوع من هذه الأمراض وهي ما يطلق عليها الأمراض المتوطنة .

وثمة نوع آخر من الأمراض الوافدة وهي التي تنتقل من مكان لآخرعن طريق الأشخاص أو غيرهم.

المبحث الأول / اسباب انتشار الأمراض في مصر وبلاد الشام

أولا : الأسباب البشرية وتتمثل بما يلي:

١-السلوكيات الغير صحية لأفراد المجتمع

ان لبعض البشر سلوكيات غير صحيحة أولها عدم الاهتمام بالنظافة والتي هي ركن من أركان الصحة ووسيلة الوقاية من الامراض والحصن المنيع أمام الأوبئة الفتاكة والمعدية، وبها يصون الانسان كرامته ويحفظ منزلته.[١] والنظافة هي أول ما نزل على رسول الله(صلى الله عليه وسلم) من الأوامر فقال تعالى ((وثيابك فطهر)).[٢]

أ- عدم الاهتمام بنظافة البدن

من المعروف ان الاهمال في نظافة البدن يتسبب في اصابة الانسان بالكثير من الامراض[٣]، وقد اشتمل القرآن الكريم والسنة النبوية على الكثير من الآيات والتوجيهات النبوية الداعية الى الطهارة والاهتمام بنظافة البدن[٤]، كما دعانا ديننا الاسلامي الى الاهتمام بالنظافة حتى تصح الابدان[٥].

ولأهمية ذلك حث المسلم على تنظيف اسنانه من خلال استعمال السواك[٦]، لما له من فوائد كثيرة منها جلي

الاسنان، وقوى اللثة، وطيب النكهة، وشهى الطعام[٧].

لذلك نجد تعاليم الاسلام تحث على نظافة الفم والاسنان خاصة وسائر البدن عامة،لأن عدم نظافة البدن قد تؤدي الى سد مسام العرق بالجسم، مما يجعل الانسان عرضة للأمراض، كما يؤثر على كل أجهزة جسمه فلا تتمكن من اداء الوظيفة التي خلقت لأجلها[٨].

١- الشطي، شوكت ،الاسلام والطب ، كتاب في النظافة والحركة والرياضة في الاسلام وآثارها في صحة الأنفس والأجسام، دمشق ١٩٥٩م، ص١ .
٢سورة المدثر، آية ٤ .

٣المراغي، احمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٩٤٦م، ج١٩، ص١٢٦ .

٤- ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن حجر(ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: الشيخ عبد العزيز عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ١٩٩٦م، ج١١، ص٥٤٠ .

٥- ومن هذه الآيات قوله تعالى: "ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين". سورة البقرة، آية ٢٢٢.وقوله :" فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين". سورة التوبة، آية ١٠٥.

٦- هو عود يتخذ من شجرة الأراك ونحوه يستاك به. ويدلك الاسنان بالعود لتذهب الصفرة والاوساخ وليطهر الفم . انظر: مجمع اللغة العربية، المعجم الوجيز، مادة ساك، ص٣٣٠.

٧- أبو بكر الأزرق، الشيخ ابراهيم بن عبد الرحمن، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة، طبعة مصر ١٣٦٧هـ، ص٨٠ ؛ ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: محمد علي صبيح، ط١، القاهرة ١٩٣٥م، ج٣، ص١٦٩ .

٨- الصياد، ابراهيم، نظرة الاسلام للطب، مجلة الطب الإسلامي، عدد ٢، الكويت ١٩٨١م، ص٦١.

ب- عدم الاهتمام بنظافة الملبس

من المعروف ان الثياب الغير نظيفة تسبب الامراض وتصيب صاحبها بالفطريات[١]، فلا شك ان نظافة الثياب تبعد صاحبها من الامراض التي تصيب الجلد[٢].

من كان نظيف البدن والثوب يكون أهلا للقاء فضلاء الناس وشرفائهم، وأما من يعتاد الوسخ والقذارة فانه يكون محتقرا عند كرام الناس ولا يعدونه أهلا للقائهم وحضور مجالسهم، ومن ذلك نجد ان الطهارة في الاسلام لم ترتبط بالبدن وحده ولكنها امتدت الى الثياب أيضا[٣]. وقد نص القرآن الكريم على نظافة الثياب بقوله تعالى : ((يابني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد))[٤]، فالوزير القبطي ابراهيم بن عبد الله شمس الدين (ت ٧٨٩هـ/ ١٣٨٧م) أصله من نصارى القبط فأسلم وخدم الامراء ((كان منذ ولي الوزارة لم يغير ملبسه))[٥].

وبطبيعة الحال فإن ذلك سيؤدي الى اصابته بالامراض نتيجة اهماله لنظافته الشخصية ونظافة ثوبه .

ج- تلوث المأكل والمشرب

ان الطعام والشراب هما أساس حياة الانسان، ولكي تتحقق للمسلم الصحة ويعيش حياته بمنأى عن الامراض الخبيثة، شدد الاسلام على ضرورة الاهتمام بنظافة الشراب والطعام[٦].

ويشترط في كون الشراب نظيفا وصحيا ان لايتغير لونه ولا طعمه ولا رائحته لأنه يصبح ضارا بالصحة اذا تغير عن أصله[٧]، وحتى لايلوث الشراب بالمكروبات حض الرسول (صلى الله عليه وسلم) على ضرورة اغلاق ما هو مفتوح وربط قربة الماء بخيط ربطا محكما حتى لاتكون عرضة للحشرات والقوارض التي تنقل الامراض للانسان[٨].

د- عدم الاهتمام بنظافة أماكن الاقامة والبيئة المحيطة

ان اهمال الانسان لنظافة مسكنه وداره والمكان المحيط به سواء كان طريقا أو مورد ماء، لاشك يؤدي الى تكاثر الحشرات المسببة للامراض، لذلك شدد الاسلام على ضرورة تنظيف الدور من القاذورات والفضلات التي يؤدي تراكمها الى الاصابة بالعلل والامراض[٩].

١- رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م، ج٦، ص٢٦٣.

٢- ابراهيم ، الطب ، ص٢٧ .

٣- رضا ، تفسير ، ج٦ ، ص٢٦٣ .

٤- سورة الأعراف ، آية ٣١ .

٥- ابن حجر، إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي، مصر ١٩٦٩م، ج١، ص٣٣٨ .
٦- المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤١٨هـ، ج١، ص٨٤ .
٧- الفنجري، أحمد شوقي، الطب الوقائي في الاسلام، القاهرة ١٩٨٠م، ص٢٨ .
٨- مالك بن أنس، الموطأ، تصحيح: فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٩٥١م، ص٥٧٨ .
٩- شاكر، أثر، عدد ٣، ص٢٤٢ .

من الجدير بالذكر ان القاهرة كانت تعتبر أقل قذارة من الفسطاط لأنها تصرف حراراتها خارج المدينة في منطقة البطائح، اضافة الى انها بعيدة عن الفسطاط وتأثير أبخرتها الملوثة قريبة من الشمال مما يعرضها لهبوب الرياح التي تساعد على انحلال الابخرة وتحرك الهواء[١].

كذلك كانت مدينة الفسطاط تواجه عقبة اخرى وهي مشكلة الصرف الصحي، بينما لم تكن القاهرة تعاني منها حيث كانت تلقي بمخلفات حراراتها خارج المدينة في منطقة البطائح، اضافة الى ان هناك عادات سيئة كان أهالي مصر يتبعونها والتي ساعدت على ظهور الامراض وزاد الامر سوءا، فقد كان أهالي الفسطاط يرموا ما يموت في دورهم وأزقتهم فتعفن ويخالط عفونتها الهواء[٢]، هذا بلا شك يلوث الهواء بالمكروبات المتصاعدة من جيف هذه الحيوانات الميتة والمتحللة، فيستنشقه الانسان ويؤدي الى اصابته بالامراض .

– الاسراف في المأكل والمشرب

هناك نصوص في الكتاب والسنة تنهى عن الاسراف في تناول الطعام والشراب منها قوله تعالى : ((كلوا واشربوا ولاتسرفوا إنه لايحب المسرفين))[٣]. لقد أدى الاسراف في المأكل الى اصابة العديد من الافراد بالسمنة المفرطة التي كانت تعيق حركتهم وتصيبهم بالامراض[٤].

ونظرا لأهمية الطعام ونوعيته وكميته وتأثيره على صحة الانسان، فإن بعض الاطباء لم يكتفوا بالكتابة في وصف الامراض وطرق علاجها وانواع الادوية، بل قاموا بتسجيل جميع أنواع الأغذية والأشربة وبينوا منافع ومضار كل منها[٥]، كما وضعوا الارشادات اللازمة للناس فيما يجب على المرء فعله عند الطعام والشراب وبعده وغير ذلك من الأمور[٦].

٢– نقص الوعي الصحي

من الطبيعي عندما يكون الانسان غير مدرك لأهمية الوعي الصحي وذلك يؤدي الى اصابة الناس بالأمراض، وهذا يأتي من الجهل بأبسط القواعد والمبادئ الصحية التي يتبعها، وهذا الاهمال الصحي يأتي من الانسان الجاهل سواء كان غنيا أم فقيرا[٧].

١- المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٦٥-٣٦٦ .
٢- م . ن . ص٣٣٩-٣٤٠ .
٣- سورة الأعراف، آية ٣١ .

٤- ابن حجر، إنباء، ج٢، ص٣٤٥؛ ابن العماد، عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ط١، دمشق ١٩٨٦م، ج٩،ص١١٦ .

٥- السمرقندي، نجيب الدين رضي الاسلام محمد بن علي (ت ٦١٩هـ/ ١٢٢٢م)، الأغذية والأسباب والعلاقات، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٢ طب، ميكروفيلم ١٩١٧ . ص٢-٥٦؛ الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ، ج٣، ص٢٩٢-٢٩٣-٢٩٤ .

٦- الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، بيروت ١٩٨٨م، ج٥، ص٣٣٤-٣٣٥؛ المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، المحقق: محمد عبد القادرعطا، دار الكتب العلمية،ط١، لبنان- بيروت ١٩٩٧م، ج٢، ص١٣٨.

٧- موافي، أحمد ثابت، صحة الفلاح، بحث ضمن كتاب، أبحاث في الطب الوقائي والصحة الاجتماعية، القاهرة١٩٤٠م، ص٥١ .

هذا الجهل تترتب عليه عادات سيئة والتي ساعدت على انتشار الأمراض منها، فإنه لا يؤمن بالأطباء ولا بامكانية علاجهم للأمراض وانما يلجأ الى الدجالين والمشعوذين اذا مرض ويتبع نصائحهم والتي تؤدي بالنتيجة الى استفحال مرضه ونهاية حياته[١]، كما يتبع البعض التنفس عند الشرب في الاناء، والتي تؤدي الى تلوث الشراب بالأمراض[٢]، ويسبب أضرارا صحية بالغة حيث يمكن ان تنتقل اليه العدوى من الشارب الأول أو حامل لميكروب المرض[٣].

٤-الفقر

هناك ارتباط وثيق بين الحالة الاقتصادية للفرد وبين حالته الصحية، فالأنسان الفقير تحول ظروفه الاقتصادية دون الاهتمام بالنواحي الصحية والطبية،عكس الانسان الميسورحيث يمكن ان يوفر متطلباته من العلاج والغذاء والملبس والمشرب والمسكن الصحي، لذلك يعد الفقر عاملا مساعدا في انتشارالكثيرمن الامراض[٤].

كما ان الانسان يكون أكثر عرضة للإصابة بالأوبئة والأمراض في الريف والأماكن الغير حضارية والفقيرة والمزدحمة بالسكان، وذلك لأن هؤلاء يكون اهتمامهم منصبا على توفير المأكل والمسكن في حدود الامكانيات المتاحة، وهذا يؤدي الى افتقار الغذاء الى التوازن بين العناصر اللازمة لبناء الجسم ونشاطه[٥]. مما ينتج عنه سوء التغذية التي تضعف الجسم وتعرضه للأمراض[٦] .

٥- الحروب

من العوامل المهمة التي تساعد على ظهور الأمراض هي الحروب والتي تعد أحد الأسباب البشرية، وهي تنجم عن سياسات الحكام فالحروب يصنعها البشر فهي تساعد على ظهور الأمراض بين القوات المتحاربة أو بين أهالي المدن والمناطق المحاصرة بسبب تعفن جثث الموتى أو حدوث المجاعات بسبب الحصار على أهالي المدن مما يسبب الأمراض والأوبئة .

فالتتار قتلوا في بلاد الشام سنة (٦٥٨هـ/ ١٢٥٩م) أمم لايحصيهم إلا الله سبحانه وتعالى وامتلأت الطرقات بالقتلى[٧]. وحدث في سنة (٨٠٢هـ/ ١٣٩٩م) بين العشير وهم عربان الشام اختلاف، فقتل منهم في المعركة نحو عشرة آلاف نفس[٨].

١- فخر الدين، محمد، الأمية وصحة الفلاح، بحث ضمن كتاب، أبحاث في الطب الوقائي والصحة الاجتماعية، القاهرة١٩٤٠م، ص٦١ .
٢- قاسم، محمود الحاج، الطب الوقائي النبوي، مجلة الطب الاسلامي، العدد الرابع، الكويت ١٩٨٦م، ص٣١٥ .
٣- م . ن .
٤- فكري، عصام، الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثالث، الكويت ١٩٧١م، ص٣٨.
٥- المقريزي، الخطط، ج١، ص٤٤-٤٥ .
٦- أشتور، التارخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، نقله الى العربية: عبد الهادي عبلة، دمشق ١٩٨٥م، ص٣٠٤ .
٧- الذهبي، تاريخ، ج٤٨، ص٥٠ .
٨- ابن حجر، إنباء، ج٢، ص٩١ .

وهكذا قد حفل تاريخ مصر وبلاد الشام خلال العصر المملوكي بالكثير من الحروب، سواء بين المسلمين والصليبيين أو التتار أو بين المماليك وبعضهم البعض، مما كان له أبلغ الأثر على القوات المتحاربة، وعلى أفراد الشعب القاطنين بالقرب من مواقع المعارك .

٦- الانحراف الخلقي

ان بعض الظواهر الاجتماعية التي ظهرت في المجتمع المملوكي، ويمكن وصفها بالفاسدة كتدهور الاخلاق وانحطاط القيم، وهذه الامراض الاجتماعية لم تقتصر على فئة معينة وانما شملت قطاعات واسعة في المجتمع رجالا ونساء، امراء وملوك، وعامة الناس[١]مثل:-

١- الحشيشة

ان تعاطي الحشيشة من مظاهر الفساد الخلقي والتي شهدها المجتمع المصري خلال العصر المملوكي، ولا شك انها تؤدي بالتالي الى انتشار الأمراض[٢].

وقد ذكر المقريزي عن مضار الحشيشة فقال:((بأن نباته يزرع في البساتين وهو يسكرجدا،حتى ان من أكثرمنه يخرجه الى حد الرعونة،وقد استعمله قوم فاختلت عقولهم، وادى بهم الحال الى الجنون وربما الى الموت))[٣].كما قال علاء الدين بن نفيس عن هذه الحشيشة: ((وجدتها تورث السفالة والرذالة، ومن عاناها فانه ينحط في سائر اخلاقه، حتى لايكاد ان يبقى له من الانسانية شئ[٤].

٢- الزنا

وهو أحد أسباب انتشار الأمراض الخبيثة من خلال العلاقات المحرمة مع النساء[٥]، فقد انتشرت مجالس الفسق والحانات التي مورس بها البغاء في بعض المدن المصرية[٦]، والشامية[٧]، كما وقفت بعض البغايا لطلب الفاحشة في الأسواق في العصر المملوكي[٨]، وكان لهنَ زي يتميزن به وهو لبس الملاءات الطرح وفي أرجلهنَ

سراويل من أديم أحمر[٩]. اعتقد الناس والمماليك ان السبب الرئيسي لوقوع الكوارث وانتشار الأوبئة هو

١- الرواشدة، آمنة محمود سليمان، حيوات المرأة في العصر المملوكي في مصر والشام (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧)، دراسة سياسية اجتماعية فكرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب- قسم التاريخ، جامعة اليرموك ١٩٩٧م، ص٢١٥ .

٢- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٤٣م)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب، دار الحديث، ط٥، القاهرة ١٩٩٨م، ج١٣، ص٣٧٠؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، المحقق: علي أبو زيد، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ١٩٩٨م، ج١، ص١٥٨ .

٣- الخطط، ج٣، ص٢٣٠.

٤- م . ن .

٥- التيفاشي، شهاب الدين أحمد ، نزهة الألباب فيما لايوجد كتاب، تحقيق: جمال جمعة، رياض الريس للكتب والنشر، ط١، لندن ١٩٩٢م، ص١٩٨ .

٦- المقريزي، الخطط، ج١، ص١٩٩ .

٧- المقريزي، السلوك، ج٧، ص٣٦٩؛ ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان ١٩٩٨م، ص٢١ .

٨- المقريزي، م . ن ، ص١٨٥-٣٦٩ .

٩- المقريزي، الخطط، ج٣، ص١٧٤-١٧٥؛ الرواشدة، حيوات، ص٢١٧ .

الفساد الأخلاقي، لذا عملوا على الحد من هذه الظاهرة[١].

٣- شرب الخمر

وهو مظهر من مظاهر الانحراف الخلقي خلال تلك الفترة واعداد مجالس خاصة للشرب[٢]، ففي سنة (٧٠٢هـ/ ١٣٠٢م) حصل بالقاهرة ومصر من الفساد في الحريم وشرب الخمور ما لايمكن وصفه[٣]، وفي سنة (٧٤٦هـ/ ١٣٤٥م) تهتكت المماليك السلطانية بشرب الخمر والاعلان بالفواحش وركبوا في الليل وقطعوا

الطريق على المسافرين واغتصبوا حريم الناس[٤].

إلا ان الدولة المملوكية لم تتوانى عن محاربة الفساد وشرب الخمور وتعاطي الحشيشة، لذلك قاموا بمحاربة الفساد وأماكن الرذيلة، ففي سنة (٦٦٢هـ/ ١٢٦٣م) أبطل السلطان ضمان الحشيشة وأمر بتأديب من أكلها[٥].

ثانيا: الاسباب الطبيعية

هناك مجموعة من الاسباب هي من صنع الطبيعة ولا دخل للبشر فيها، وأدت تلك الاسباب دورا مهما في مصر والشام في التأثير على الحالة الصحية العامة بها وأول هذه المسببات هي :-

١- **طبيعة مناخ مصر والشام**

ان مناخ أي بلد وعناصره المختلفة من جفاف ورطوبة، وحرارة وبرودة تساهم بدور كبير في انتشار الأمراض أو الحد منها، حيث نجد في مناخ هذا البلد البيئة المناسبة لها دون اخرى، فالبلاد الحارة مثلا تعد من أكثر المناطق عرضة لنمو الجراثيم وتوالد الحشرات التي تنقل عدوى الأمراض[٦].

فهناك علاقة وثيقة بين العناصر المكونة للمناخ من حرارة وأمطار ورياح ورطوبة وبين صحة الانسان، فكلما كان المناخ قاريا متطرفا كلما زادت الأمراض وانتشرت الاصابة والعدوى بها، وكلما كان المناخ معتدلا كلما قلت الامراض وقل انتشارها وكذلك العدوى بها[٧].

واتسم مناخ مصر بالحرارة وركود الهواء فيغلب على تربتها كثرة العفونة وهو يؤدي الى كثرة الفضول في الهواء الذي ينتج عنه الاصابة بالأمراض[٨]، وذلك لأن الاتربة تتخلل الهواء حتى ترى في أيام الصيف الهواء

١- م . ن ، ج٦، ص٤٩٥؛ الخطط، ج١، ص١٩٩.

٢- م . ن ، ج٢، ص١٢٨ .

٣- م . ن، ص٣٦٣ .

٤- م . ن، ج٤، ص١٣ .

٥- م . ن ،ج٢، ص٣٦ .

٦-صادر، حبيب، الأمراض المعدية في الأقطار العربية، مجلة المشرق، عدد ٣١، بيروت ١٩٣٣م، ص٤٠٠ .

٧- م . ن .

٨- الورتلاني، الحسين بن محمد (ت ١٧٧٩م)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة بيرفونته الشرقية، الجزائر ١٩٠٨م، ص٥٦١ .

كدرا يأخذ بالنفس، ويتسخ الثوب النظيف[١].

وكان لطبيعة المباني في مصر دور كبير في خلق بيئة مناسبة لبعض الأمراض مع هذا المناخ، وخير دليل على ذلك مدينة الفسطاط حيث كانت مرتفعة البناء ضيقة الأزقة والشوارع، الأمر الذي كان يحول دون تجدد الهواء بها وهو ما جعلها عرضة أكثر من غيرها من الأمراض[٢]. كما ان كثرة الازدحام في مصر وبلاد الشام بالسكان كان سببا في تدفق اللاجئين عليها فرارا من الحروب[٣]، فعندما أقبل التتارسنة (٦٧٩هـ/ ١٢٨٠م) عندما سمعوا بتفريق كلمة المسلمين انجفل الناس من سائر البلاد الى الشام ومن الشام الى مصر[٤]، مما أدى الى اضطراب دمشق بأهلها وأخذوا في الرحيل منها[٥]. ولا شك ان هذا الازدحام يؤدي الى صعوبة في التنفس ويكثر من الجراثيم في الهواء، الأمر الذي يؤدي الى انتشار الامراض لذلك كانت المدن الاقل سكانا والافضل في اعتدال الهواء أكثر صحية من غيرها من المدن[٦].

مما سبق يتضح لنا ان مناخ مصر والشام كان له دور مؤثر في الحالة الصحية العامة لأهالي مصر والشام، إلا ان هناك عوامل طبيعية اخرى تنتج عنها الاوبئة وتكون سببا في انتشار الامراض فيها.

٢-المجاعات

تعد المجاعات أحد مسببات الامراض وهي ترجع الى اسباب طبيعية، فقد تحدث المقريزي في كتابه ((إغاثة الامة بكشف الغمة)) عن المجاعات التي حدثت في البلاد الاسلامية، حيث يقرر المقريزي: ان هذه المجاعات والمحن مرتبطة بأسباب مشخصة وانها ليست قدرا لايمكن الفكاك منه، اذ يرفض الاستسلام الجبري ويأخذ بمبدأ السببية مقررا ان مايحدث من كوارث يمكن ان يتجاوزه الانسان الذي بمقدوره تحاشي المجاعات أو الكارثة الطبيعية بالتخطيط والتصرف المستند الى معرفة الاسباب والدوافع، فهي تنتهي بانتهاء هذه الاسباب المرتبطة بسوء السياسة الاقتصادية للمسؤولين في الدولة[٧].

كذلك لأحوال الجو وتقلباته يؤدي الى حدوث مجاعات فالقحط الذي يحدث لقلة نزول الأمطار أهم هذه الأسباب ومنها، الآفات التي تصيب الغلال بسبب الرياح الحارة والجافة، أوإغارات أسراب الجراد على المزروعات[٢]. وأكثرها ضررا هو :

١- المقريزي، الخطط، ج١، ص٣٤٠.

٢- م . ن ، ج٢، ص١٦٥ .

٣- علي، علي السيد، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، العين للدراسات الاجتماعية للبحوث، ط١، القاهرة ١٩٩٦م.

٤- ابن كثير، البداية، ج١٣، ص٣٤١ .

٥- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج٨، ص١٥٨.

٦- ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د. سهيل زكار، دمشق ١٩٨٨م، ج١، ص٤٥١-٤٩٩ .

٧- إغاثة الامة بكشف الغمة، نشر: محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، ط٣، القاهرة ٢٠٠٢م، ص٣ .

٥- م . ن، ص٣٦ .

نقص المياه أو الفيضانات الشديدة

قال تعالى: ((وجعلنا من الماء كل شئ حي))[١]، يتضح من قوله تعالى ان الماء عنصر ضروري للحياة فلا تستقيم الحياة بدونه، فبالرغم من المجاعات الكثيرة التي تعرضت لها مصر والتي سببها يعود الى نقص المياه سواء المطر أو النيل عن الحد المطلوب[٢]، فقد تميزت بكثرة خيراتها وثرائها طوال تاريخها .

شهدت بلاد الشام موجات عنيفة من الجفاف وبالتالي حدوث المجاعات، ففي سنة (٦٨٠هـ/١٢٨٢م) انحبست الأمطار في بلاد الشام وحدث نقص شديد في المياه وخاصة في مدينة دمشق[٣]، وفي سنة (٧٢٣هـ/ ١٣٢٢م) انحبست الأمطار في بلاد الشام وأجدبت المنطقة الممتدة من دمشق الى حلب وأدى ذلك الى جفاف الينابيع[٤]، ومع شدة الغلاء اضطر الناس لأكل الميتات والقطط والكلاب بل ان بعض الناس أكل

لحم البشر من شدة الجوع وباع بعض الفقراء أولادهم ليحصلوا من ثمنهم لقمة تسد رمق جوعهم[٥].

لم تكن مصر بأحسن حال عن مثل تلك المجاعات والجفاف، فقد ابتليت مصر بمثل ذلك مع وجود نهر النيل المتذبذب في نقصانه أو زيادته، ففي سنة (٦٩٤هـ/ ١٢٩٥م) انخفض مستوى نهر النيل فحدث جفاف في مصر[٦]. وفي سنة (٨٠٦هـ/ ١٤٠٣م) انخفض مستوى ماء نهر النيل، فحدثت مجاعة استمرت لسنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)[٧]، مما أدى الى موت أعداد كبيرة[٨]وتكرر الأمر في سنة (٨١٨هـ/ ١٤١٥م)[٩].

كما ان شدة الأمطار وفيضان النيل وزيادة ماؤه زيادة مفرطة يؤدي الى غرق الأراضي واعاقة زراعتها[١٠].

ونظرا لما سبق سواء من حيث نقص أو فيضان النيل نجد ان نهر النيل قد حظي باهتمام الحكام

١- سورة الانبياء، آية ٣٠ .

٢- الحد المطلوب لري الأراضي في مصر خلال العصر الفاطمي كان ارتفاع الماء في النيل بمقدار ستة عشر ذراعا تكفي لزراعة بعض الأراضي، ودرء خطر المجاعة عن البلاد، وليس هناك خطر محقق اذا بلغت الزيادة خمسة عشر ذراعا، أما السبعة عشرة ذراعا فهي كافية فقط لزراعة معظم الاراضي وليس كلها، ويكون حد الوفاء الذي يكفي لزراعة جميع الاراضي ويمكن معه الوفاء بالخراج دون عنت هو ثمانية عشر ذراعا. انظر: الصاوي، مجاعات، ص٢٨ .

٣- اليونيني، قطب الدين أبو الفتح (ت ٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الاسلامي، ط٢، القاهرة ١٩٩٢م، ج٢، ص٤٢ .

٤- شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية، بطربورغ ١٨٦٥م، ص٨٤-٨٥ .

٥- ابن قاضي شهبة، ت تقي الدين أبي بكر بن أحمد، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ط١، دمشق ١٩٧٧م، ج٢،ص٤٨٤؛ المقريزي، السلوك، ج٤،ص٣٩١؛ السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)، الذيل التام على دول الاسلام، حققه وعلق عليه: حسن اسماعيل، مكتبة دار العروبة، الكويت، ودار ابن العماد، بيروت ١٩٩٢م، ج١، ص٢٨١

٦- ابن الفرات، ناصر الدين محمد (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، تاريخ ابن الفرات، العراق – البصرة ١٩٧٠م، مجلد ٨، ص١٩٦-٢١١؛ العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٧- ١٩٩٢م، ج٣، ص٢٧٥؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٦١-٢٦٧؛ المقريزي، إغاثة، ص٢٧-٣٣ .

٧- المقريزي، السلوك، ج٦، ص٩ .

٨- م . ن .ص١٠٣ .

٩- م . ن . ص٣٥٧-٣٩٥؛ السخاوي، الذيل، ج١، ص٤٩٤؛ الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠م، ج٢، ص٣٥٦ .

١٠- المقريزي، الخطط، ج٣، ص٢٩٣؛ البيلي، محمد بركات، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر الاسلامية، القاهرة ١٩٨٦م، ص٢٠.

المماليك[١]فأقاموا المقاييس[٢] والقناطر التي كان عددها أربع عشرة قنطرة[٣]، وذلك حتى يتمكنوا من القضاء على الآثار الوخيمة لنقصان مياه النيل أو زيادتها زيادة مفرطة أو التخفيف من وقعها .

٣- الزلازل

تعد الزلازل من الكوارث الطبيعية التي يترتب عليها هلاك ودمار وخسائر في الأموال والأنفس والثمرات وتكون سببا في انتشار الأمراض والأوبئة وذلك عن طريق الأعداد الهائلة من الموتى نتيجة تلك الزلازل[٤] .

وبسبب تلك الزلازل ظهرت الأوبئة وخاصة الطاعون[٥] بسبب تعفن جثث الموتى تحت الهدم والتي كان يصعب استخراجها ودفنها، مما يؤثر على الحالة الصحية للسكان[٦].

٤- انتشار الحشرات والآفات الزراعية

ان مناخ مصر وكونها بلد حار جعلها عرضة للجراثيم التي تنقل عدوى الأمراض[٧]. أما في بلاد الشام فكانت فيها أماكن كثيرة تغطيها البرك والمستنقعات، مما أدى الى توالد البعوض المسبب لمرض الملاريا[٨].

أما الآفات الزراعية مثل الجراد والفئران فكان تأثيرها على المحاصيل والغلال وتسبب خرابا للأراضي الزراعية وهذا ما يسبب المجاعات والأمراض، وقد تعرضت مصر وبلاد الشام خلال العصر المملوكي لموجات من الجراد، ففي سنة (٧٠١هـ/ ١٣٠٢م) هاجمت أسراب الجراد بلاد الشام وكانت مدينة دمشق أشدها تضررا[٩]. كما هاجمت قطعان الفئران حوران[١٠] فأكلت زروعها وخاصة محصول القمح[١١].

١- المقريزي، م . ن .

٢- مفردها مقياس وهو عبارة عن عمود من الرخام قائم على شاطئ النيل بمصر له طريق الى النيل يدخل الماء اليه اذا زاد وفي ذلك العمود خطوط معروفة عندهم عن طريقها يعرفون مقدار زيادة النيل كل عام . ياقوت الحموي، الامام شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م، ج٥، ص٢٠٦؛ المقريزي، الخطط، ج١، ص٥٩ .

٣- المقريزي، الخطط، ج٣، ص٢٥٩-٢٦٩ .

٤- أبو زيتون، منال أحمد ابراهيم، المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة اليرموك ١٩٩٨م، ص٤٤

٥- يعتبر من أشد الأوبئة التي فتكت بالانسان منذ القرن السادس الميلادي، وربما قبل هذا التاريخ، ولايزال حتى اليوم متخفيا في بؤرمحدودة في أنحاء متفرقة من العالم، وهو من الأمراض المعدية التي تسببها بكتريا البرسينيا الطاعونية، وهو حيواني المنشأ ينتقل الى الانسان عن طريق الحيوانات التي تعتبر مصدرا للعدوى وهناك أكثر من ٢٠٠ نوع من هذه الحيوانات أهمها الجرذان والكلاب، وفيها ينتقل الميكروب من حيوان الى آخر بواسطة أنواع متعددة من البراغيث، ومن ثم ينتقل الى الانسان عبر برغوث الفأر. عطية، فيليب، أمراض الفقر في دول العالم الثالث، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١٦١، الكويت، ص١٨١-١٨٤ .

٦- غوانمة، يوسف، الزلازل في بلاد الشام في العصر الاسلامي، ط١، دار الفكر، عمان- الاردن ١٩٩٠م، ص٦٣ .

٧- صادر، الأمراض، ص٤٠٠ .

٨- وهي وباء ينتشر عن طريق لدغ البعوض وتعرف بحمى المستنقعات. انظر: قاسم، الطب، ص٢٩٢ .

٩- ابن حبيب، الحسن بن عمر(ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م، ج١، ص٢٣٩؛ ابن كثير، البداية، ج١٤،ص٢٢ .

١٠- كورة واسعة من أعمال دمشق من جهة القبلة، ذات قرى كثيرة ومزارع وقصبتها بصرى . الحموي، معجم، ج٢، ص٣٦٤ .

١١- ابن قاضي شهبة، التاريخ، ج١، ص٥٠٢

أما مصر فلم تكن أحسن حال فقد تعرضت لأخطار الآفات الزراعية، ففي سنة (٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م) هاجمت قطعان الفئران المزروعات وأتلفت الشيء الكثير منها[١]، كما هاجم الدود المحاصيل الزراعية في سنة (٧٢٨هـ/ ١٣٢٧م) وأتلف محاصيل كثيرة[٢].

ان ما تعرضت له مصر وبلاد الشام من هجوم للجراد والفئران كلها كانت من أهم المسببات للأمراض أما بشكل مباشر أو غير مباشر .

المبحث الثاني / الأمراض وعلاجها في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي

أولا: الأمراض المتوطنة

وهي الأمراض التي ترتبط بمكان أو بلد معين دون غيره لعوامل تتعلق بمناخ هذا البلد أو التغييرات التي تطرأ عليه خلال فصول السنة، مثلا مياه الشرب كونها راكدة أو جارية، مياه أمطار أو مياه آبار[٣]. كما ان التربة تلعب دورا مهما في هذا المجال، فهناك تربة رطبة عفنة[٤].

فالطبيب اذا كان مقيما بتلك المنطقة أو غريبا عنها يمكنه ان يتصدى بنجاح لعلاج تلك الأمراض وارشاد الناس للوقاية خاصة اذا كان ملم بتلك العوامل المسببة للأمراض[٥]. وأهم هذه الأمراض هي :-

١- أمراض الحميات[٦]

في فصل الصيف يتعرض الأشخاص لمثل هذه الأمراض وذلك لفساد الهواء الذي يستنشقه أو تعرضه للحرارة الشديدة[٧].

أما الحمى الناجمة عن حرارة الشمس فينفعها الماء البارد شربا واغتسالا[٨]. وصف أطباء العصر المملوكي جملة من الأدوية والأغذية النافعة في علاج أمراض الحميات منها : شراب الاجَاص[٩]، وحامض الاترنج

١- ابن الفرات، تاريخ، ج٨، ص٢٣١؛ المقريزي، السلوك، ج٢، ص٢٨٠.

٢- العيني، عقد، ج١، ص٣٢٣ .

٣- ابن منصور العين، عدنان بن نصر، رسالة فيما يحتاج اليه الطبيب عندما يستدعيه المريض، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٢، ميكروفيلم ٣١١٧٨، ورقة ٢ .

٤- م . ن .

٥- ابقراط الحكيم، الأهوية والمياه والبلدان، ترجمة: شبلي شميل، نشره بمجلة المقتطف سنة ١٨٨٥م، ص ١٧- ١٨ .

٦- جمع حمى وهي حرارة غريبة تشتعل في القلب وتنتقل منه عبر مجرى الدم في الشرايين والعروق الى جميع أجزاء البدن فتشتعل فيه اشتعالا يضر بالأفعال الطبيعية. انظر: ابن سينا، أبي علي الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م)، القانون في الطب، بيروت، ص٢٠ .

٧- ابن ربن الطبري، أبي الحسن علي بن سهل، فردوس الحكمة في الطب، تحقيق: محمد الصديقي، طبعة برلين ١٣٢٨م، ص٢٨٥؛جالينوس، الحكيم اليوناني المعروف، مولده بعد زمان المسيح بتسع وخمسين سنة، كتاب جالينوس الى أغلوقن في التأني لشفاء الأمراض، تحقيق: محمد سليم سالم، القاهرة ١٩٨٢م، ص٣٩.

٨- ابن قيم الجوزية، الطب النبوي، تحقيق: د. حامد أحمد الطاهر، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٤م، ص٢٠ .

٩- وهو صنفان أبيض وأسود فالأسود هو اجاص على الحقيقة والأبيض هو المعروف بالشاهلوج، واجوده الاجاص الكبير الرخو القليل القبوضة. انظر: ابن البيطار، الجامع، ج١، ص١٣ .

((اذا شرب شرابه نفع جدا من الحميات الوبائية))[١]. والافسنتين[٢] نافع من الامراض الحادة كلها[٣]. ونبات الكشوت[٤]، ماؤه ينفع من الحميات المركبة من البلغم والصفراء[٥].

في مصر وبلاد الشام خلال العصر المملوكي، كانت الاصابة تأتي جماعية بشكل وباء حيث تنتشر بين السكان، ففي عام (٦٧١هـ/ ١٢٧٣م) تعرضت بلاد الرملة وبلاد القدس لمرض وحميات أهلك العديد من سكانها والظاهر ان سكانها كانوا يشربون من مياه الآبار[٦]. أو فردية تصيب أشخاص معينين في مكان معين دون غيرهم، فقد أصيب نائب الشام الأمير علاء الدين بحمى ومات منها[٧].

هناك نوع آخر من الحمى تظهر في فصل الصيف وهي الحمى التيفودية، وهذا النوع شديد العدوى حيث ينتقل عن طريق الحشرات مثل الذباب، أو عن طريق تناول أطعمة ملوثة بهذا المرض[٨].

٢- مرض السل[٩]

هو من الأمراض التي انتشرت في بلاد كثيرة ومنها مصر وبلاد الشام، وهو من الأمراض المعدية لذلك يجب

١- ابن النفيس، علاء الدين بن أبي الحزم (ت٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، الشامل في الصناعة الطبية، تحقيق: يوسف زيدان، أبو ظبي ٢٠٠٠م، ج١، ص١٦١ .

٢- نوع من الشيح ولذلك يسمى الشيح الرومي وله اصول وساق، واغصان، واوراق، وزهر،وبزر، وعصارة . ابن النفيس، الشامل، ج٢، ص٤٧٩ .

٣- م . ن، ص٤٩٦ .

٤- نبات محبَب، مقطوع الأصل، أصفر اللون، ويتعلق بالنبات مثال الخيوط، ويشرب من ماء النبات الذي يتعلق به، ولا أصل له في الأرض، ولا ورق له، في أطراف فروعه ثمر لطاف، ويكثر في الكروم. العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤١م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٤٢٣هـ، ج٢٢، ص١٩ .

٥- م . ن، ص٢٠.

٦- ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، الروضة البهية في خطط المعزية، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م، ص٤٢٨؛ النويري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣١م)، نهاية الارب في فنون الأدب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م، ج٣٠، ص٢١٠ .

٧- الصفدي، صلاح الدين خليل (ت ٧٦٤)، أعيان العصر وأعوان النصر، تحقيق: الدكتور علي أبو زيد، قدم له: مازن عبد القادر، ط١، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان ١٩٩٨م، ج٢، ص١٢٧؛ ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، المحقق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث، مصر ١٩٦٩م، ج٢، ص٧٢ .

٨- ابراهيم، ابراهيم خميس، الأوبئة والأمراض التي تفشت بين الصليبيين في الشرق الأدنى وأثرها (٤٩١-٦٩٠هـ/ ١٠٩٨-١٢٩١م)، القاهرة ١٩٨٨م، ص١٦ .

٩- هو من الأمراض الصدرية التي تصيب الرئة بقرحة تسبب ضيقا في التنفس، وبعد سعال شديد ونفث شديد ينتقص لحم الانسان بصورة شديدة. انظر: الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، تقديم: عبد اللطيف محمد العبد، القاهرة، ص١٣٢ .

عدم اختلاط الانسان الصحيح مع الانسان المريض بالسل حتى لايصاب بالمرض[١]. ولعلاج هذا المرض فقد وصف ثمر الأثل[٢]الذي يمنع من تآكل الانسان ويحسن الألوان ويصبح سببا للزيادة في لحومهم[٣]، كما وصف الآسيوس[٤]((إذا لعق من هذا الدواء قدر يسير جدا مع عسل كثير، نقى قروح الرئة لذلك يكون نافعا من السل[٥].

٣-الأمراض الجلدية

أ- الجذام[٦]

من الأمراض الوبائية التي انتشرت في كثير من البلدان ومنها الشام ومصر[٧]، يصاب به الانسان نتيجة مخالطة أشخاص مرضى واستنشاق هواء فاسد محمل بالمرض[٨]، وهو من أسوأ الأمراض التي يبتلى بها الناس في العصر المملوكي، ومن كان يصاب بهذا المرض لم يكن يقال عنه بأنه اصيب بالجذام بل كان يقال ابتلي بالجذام[٩]. أما طريقة العلاج من هذا المرض فقيل ان ماء دمشق يساعد على مقاومة هذا المرض بل يوقفه ويمنع انتشاره في جسم المريض[١٠].

أما في مصر فقد ذكر القزويني ان هناك عينا بالاسكندرية يوجد بها نوعا من الأصداف اذا طبخت وأكل منها المريض بالجذام يبرأ من مرضه[١١].

إلا ان أفضل طريقة لعلاج مرض الجذام والتي كانت تعطي نتائج باهرة وهي الفصد[١٢] ويكون ذلك قبل

١- العباس، علي بن العباس (كان حيا قبل ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، كامل الصناعة الطبية، المطبعة المصرية الكبرى، القاهرة ١٨٧٧م، ج٢، ص٦٤-٦٥ .

٢- هو شجر عظيم وله حب وقضبان خضر ملمع بحمرة وله ورق أخضر شبيه بورق الطرفاء، وفي طعمه غضوضة، وليس له زهر، ويثمر على عقد، على أغصانه حبا كالحمص، وفي داخله حب صغير ملتصق بعضه الى بعض ويسمى حب الأثل.انظر: ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٢٩١هـ، ج١،ص١١-١٢.

٣- م . ن .

٤- حجر يعلوه شئ ملحي يسموه الأقدمون من الأطباء بالثلج الصيني وأما في العرف العامي فإنه يسمى البارود، وهو شئ أبيض شبيه دقيق الحنطة. ابن النفيس، الشامل، ج٢، ص٣٥٩ .

٥- م . ن، ص٣٦٥ .

٦- علة تتآكل منها الأعضاء وتتساقط والذي تصيبه هذه العلة يسمى المجذوم . انظر: مجمع، المعجم، ص٩٧ .

٧- علي، كرد علي، خطط الشام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١م، ص١٦١ .

٨- ابن ربن الطبري، فردوس، ص٣١٩؛ ابن النفيس، الموجز في الطب، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، القاهرة ١٩٨٦م، ص٣٠٣ .

٩- المقريزي، السلوك، ج٥، ص٣٢٩ .

١٠- ابن الوطواط، رشيد الدين محمد العامري (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، غرر النقائض الفاضحة وغرر الخصائص الواضحة، بولاق- القاهرة، ص٢٤٠؛ علي، خطط، ج٦، ص١٦١.

١١- زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت، ص١٤٧ .

١٢- والفصد يكون في اليدين والرجلين وخلف الأذنين على أن يخرج الطبيب للمجذوم الدم الكثير ثم يغذي بأغذية ومشروبات خفيفة مرطبة ومسهلة، ويلتزم المريض بالراحة، وأخذ الحمام مع عدم البقاء مدة طويلة . انظر: ابن قرة، الذخيرة، ص ١٣٨-١٣٩.

استفحال المرض وتمكنه من جسم المريض[١].

ب- مرض الجدري[٢]

من الأمراض المتوطنة والتي تظهر في البلاد الحارة الرطبة بكثرة، لذلك وجدت في مصر والشام بيئة مناسبة لها[٣]. أما أسبابه فهناك سبب طبيعي مثل هبوب الرياح المحملة بالجراثيم من الأماكن الموبوءة الى الأماكن الصحيحة[٤]، وهناك أسباب اخرى منها سبب ارادي يتعلق بنوع الأطعمة التي يتناولها الانسان مثل اللحوم والتمور والألبان بكثرة تؤدي الى الاصابة بالجدري[٥] وهو مرض معدي .

أما علاجه فيكون أما عن طريق الأدوية والأغذية التي تخفف هذا المرض[٦]، أو علاج جراحي عن طريق اخراج الدم مقدار الحاجة أو ما تتحمله قوة المريض[٧].

وذكر المقريزي معلومات عن انتشار وباء الجدري أواخر عام (٨٣٠هـ/ ١٤٢٦م) دون أن يحدد المكان، لكنه لم يتسبب بأية خسائر بشرية[٨].

وفي بلاد الشام عام (٩١٧هـ/ ١٥١١م) أصاب الجدري العديد من الناس وكان قوي جدا[٩].

٤-أمراض الباطنة والجهاز الهضمي

وهي من الأمراض الشائعة والأكثر انتشارا في كل الأزمنة وخاصة في العصر المملوكي، ويعد السبب الرئيسي للاصابة بهذه الأمراض النظام الغذائي الذي كان متبعا .

كان الأطباء في العصر المملوكي على دراية بالأمراض التي تصيب المعدة وسببه، أما سوء مزاج مادي أو عن مأكول وأكثره الحار اللاذع، ومن الناس من تؤلمه معدته على الجوع فإذا أكل سكن، وقد يكون وجع المعدة من شراب ماء بارد على الريق، وينتقل الوجع من المعدة الى الأمعاء فيصبح قولنجا، وعلاجه أما باستفراغ الخلط الفاعل بأدويته، أو بالقئ وتعديل المزاج[١٠].

١- ابن القف، أبي الفرج ابن موفق الدين (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، العمدة في الجراحة، حيدر آباد، الدكن، الهند، ج٢، ص٤٨ .

٢- حمى معدية تتميز بطفح حليمي على الجلد، يتقيح ويعقبه قشر والجدرة ندبة لها نسيجها وارتفع عن الجلد والذي أصابه الجدري يقال له مجدر. انظر: ابن ربن الطبري، فردوس، ص٣٠٧.

٣- الحموي، محمد بن أحمد بن علي (كان حيا في القرن السابع الهجري)، البيان في كشف أسرار الطب، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٩٢ طلعت، ميكروفيلم ٣١١٥٩ .

٤- العباس، كامل، ج١، ص٣١٠؛ صدقي، رسالة عن الطب، ص٤٢ .

٥- الحموي، البيان، ص٢٧٠؛ ابن القف، العمدة، ج١، ص١٤٦؛ العباس، م . ن .

٦- ابن قرة، الذخيرة، ص٦٥ .

٧- ابن القف، العمدة، ج٢، ص١٠ .

٨- السلوك، ج٣، ص٩٥ .

٩- ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي(ت ٩٥٣هـ)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان ١٩٩٨م، ص٣٥٧

١٠- ابن النفيس، الموجز، ص١٩٨- ١٩٩ .

وصف الأطباء نبات الخردل[١] والأنيسون[٢] والبابونج[٣]، كما وصفوا الجورشنات[٤] مثل جورشن السفرجل الممسك وهو يدفع الفضلات من المعدة ويقويها ويقوي الكبد .

أ- الاسهال

هذا المرض يكون نتيجة لتلوث الطعام الذي يتناوله الانسان، أو وجود الديدان بالمعدة والأمعاء والذي يسبب الآلام الشديدة، وهذا المرض كان معروفا خلال العصر المملوكي[٥].

أما طريقة علاجه في هذا العصر، فقد أشار ابن البيطار الى مجموعة من النباتات والأدوية التي تستخدم في علاج الاسهال، مثل نبات عصا الراعي[٦]وقوته قابضة مبردة[٧] كما ان العسل ظل مستخدما لعلاج الاسهال، كما أوصى النبي (صلى الله عليه وسلم) بذلك[٨].

ب- عسر البول والحصوات

في عصر سلاطين المماليك كان الأطباء المصريين قد بلغوا من المهارة بأنهم تمكنوا من أن يفرقوا بين حصاة الكلى والقولنج، وذلك بسبب مشاركة القولون للكلية والفرق بينهما ان وجع الحصاة صغيرة يبتدئ من أعلى وينزل حيث يستقر من أي جنب كان، والقولنجي يبتدئ من أسفل ومن اليمين ثم ينبسط[٩]. كما ان أحد أطباء العصر المملوكي وهو رشيد الدين أبو حليقة الى صناعة ترياق نفذت قوته الى موضع الحصاة ففتتها وخرجت من (البول) وهي مصبوغة بالدواء وخلص لوقته[١٠].

٥- أمراض العيون

ان هذه الأمراض كان لها نصيب من الوجود خلال العصر المملوكي، حيث ان طبيعة المناخ في مصر

١- اصوله بمصر تسمى الكبر، وهو نافع لكل مرض بارد كالفالج والنقرس . انظر: داود، تذكرة، ج١ ، ص١٩٧ .

٢- نبات ذو أصل وساق، وأغصان وأوراق وزهر، وبذر والمستعمل من هذا النبات بذره، شديد النفع للكبد، مع التقوية التي بها تحفظ قوة الكبد، يفتح شدد الطحال ويقويه. انظر: ابن النفيس، الشامل، ج٣، ص٦٥٦-٦٦٧ .

٣- معدل لمزاج الدماغ وأجزائه، فلذلك فهو مقو لأعضاء الرأس، خاصة هو عطر، فيكون مقوي بعطريته، وهو نافع من أوجاع المعدة، ومن المغص . انظر: ابن النفيس، م . ن، ص١٠٩ .

٤- معنى جورشن باللغة الفارسية هاضم الطعام وأكثر ما يقع هذا الاسم على المعجونات، انظر: ابن أبي البيان، سديد الدين أبو الفضل، الدستور البيمارستاني، تحقيق: القس بولس سباط، القاهرة ١٩٣٣م، ص٢٣ .

٥- حسين، محمد كامل وآخرون، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، ادارة الثقافة الجماهيرية العربية الليبية، ص٧١.

٦- وهو البطباط وهو نوعان ذكر وانثى، فهو في الدرجة الثانية من درجات الأدوية التي تبرد . انظر: ابن البيطار، الجامع، ج٣، ص١٢٤ .

٧- م . ن .

٨-ابن حجر، فتح، ج١١، ص٢٨٤ .

٩- ابن النفيس، الموجز، ص٢٣٩ .

١٠- ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت، ص٥٩٣ .

وبلاد الشام ساعد على ظهورأمراض العيون بها[١]، إلا ان اهتمام الاطباء المعاصرين للعصر المملوكي بأمراض العيون جعلهم يفردون مؤلفات كاملة لهذه الأمراض ومنهم ابن النفيس[٢].

من أشهر أمراض العيون مرض الرمد، وهو اكثر أمراض العين وقوعا[٣] وسببه حر الشمس والغبار والدخان ويمكن أن يعالج باستعمال الأدوية المبردة المقوية للعين كالضماد بخرق مبلولة بماء ورد وشئ قليل من الكافور[٤].

ومن أمراض العين الأخرى القروح التي تصيبها، وهذا النوع يحتاج الى دواء مجفف لكي يجفف الرطوبة المجتمعة فيها وينقي الوسخ منها[٥]. ذكر الأطباء أمراض كثيرة تصيب العين استخدم في بعضها العلاج الجراحي، وفي بعضها كانت تستخدم الأدوية والعقاقير[٦].

عالج الأطباء في عصر سلاطين المماليك كثيرا من أمراض العين مثل الألتصاق في الأجفان، كما نجحوا في علاج الكثير من أمراض العين بواسطة تدبير الغذاء، وذلك بالأبتعاد عن الأغذية الضارة بالعين والأخذ بالأغذية النافعة[٧].

- علاج أمراض العظام

ان ما اتفق عليه الأطباء العرب ومارسوه وما زالوا يمارسونه، هو علاج الكسر أي إعادته الى وضعه قدر الامكان، اتفقوا أيضا على السرعة في العلاج والشد برفق وتجنب الألم، وذلك لأن الشد الشديد وابطاء الحبل يؤدي الى موت ذلك العضو ويعفن ويحتاج الى قطعه[٨].

أما علاج الكسور فيجب ان يعالج مباشرة بعد الكسر وقبل أن يحدث ورم حاد، فإذا حدث ورم ينبغي أن يترك حتى يسكن الورم ويعالج بتسوية الكسر، حيث يحاط العضو بعجينة خاصة ويلف بالأربطة حتى يعود العضو الى شكله الطبيعي[٩].

في العصر المملوكي عرفوا الأطباء أهمية الوقت في علاج الكسور، واختلاف الوقت اللازم في كل عظم وكسر، وعقب عملية التجبير أو العلاج كانت المواضع المكسورة تضمد ببعض الدهانات والنباتات التي تساعد على اكتمال الشفاء[١٠].

١- طوقان، قدري حافظ، العلوم عند العرب، القاهرة ١٩٥٦م، ص١٩ .

٢- ابن النفيس، المهذب في الكحل المجرب، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط- المغرب ١٩٨٠م، ملحق رقم ١٠ .

٣- الأنطاكي، داود بن عمر(ت ١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠م)، بغية المحتاج في المجرب من العلاج، دار الفكر، بيروت – لبنان ١٩٩٥م، ص٥٧ .

٤- حسين، الموجز، ص١٨٠ .

٥- ابن البيطار، الجامع، ج١، ص٢١ .

٦- حسين، الموجز، ص١٨٠- ١٨٥ .

٧- ابن النفيس، الموجز، ص١٥٦ .

٨- ابن سينا، أبي علي الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م)، القانون في الطب، بيروت، ج٣، ص٢٥٨ .

٩- م . ن، ص٢٦١ .

١٠- ابن البيطار، الجامع، ج٢، ص٢٦-٢٧ .

٧- علاج الأمراض النفسية

في عصر سلاطين المماليك عرف الأطباء النفسيين عدد من الأمراض التي تصيب الانسان منها، الصرع الذي سببه انسداد مجرى الأعصاب المحركة للأعضاء مما يؤدي الى السلوك الغير طبيعي، يهيج سريعا ويسكن سريعا، وعلاجه يكون بتنقية البدن والدماغ بحب الأرياح والصبر ومطبوخ الزبد[١].

وظهرت الكثير من الأمراض النفسية مثل المانخوليا والعشق واستطاع الأطباء وقتها ايجاد العلاج لها[٢].

ثانيا : الأمراض الوافدة

شكلت الأوبئة والأمراض في القرون الوسطى وخاصة في العصر المملوكي ظاهرة مثيرة للأهتمام، وهذه الأمراض تكثر في بلد واحد وقلما ينجو منها من يصاب بها[٣].

عرفت بلاد الشام الى جانب الطاعون، الجدري والجرب والحميات لكن دون ان تترك آثارا هامة على المجتمع الشامي أو المصري ولفترة محدودة جدا، أما الطاعون فقد خلف انعكاسات بالغة الخطورة على البنية السكانية والاجتماعية والاقتصادية في المنطقة بعد ان تحول الى مرض متوطن فيها بشكل دائم[٤].

والطاعون من الأمراض الوبائية المستعصية العلاج[٥]، والحيلولة دون انتشار هذا المرض اتخذوا تدابير وقائية منها، تطهير المساكن وتنظيف هوائها[٦]، واستعمال الروائح الزكية، والاقامة في الظل والاماكن الجافة والبعيدة عن التيارات الهوائية الباردة[٧]، واصلاح الماء باضافة الملح اليه قبل الشرب، واصلاح الغذاء من خلال أكل النواشف والحوامض كالخل وماء الرمان أو السماق أو النارنج[٨] وكذلك الابتعاد عن المرضى وعدم الاختلاط بهم[٩].

بما ان مصر وبلاد الشام أكثر البلاد اصابة بالأوبئة والطواعين خلال العصر المملوكي، حاول الأطباء التقليل من الآثار الناجمة عن مرض الطاعون بالطرق الوقائية والعلاج المشار اليها، والسبب انتشار المرض في مصر وبلاد الشام أكثر من غيرها راجع الى كثرة الحروب والثورات، وكثرة القتلى وتعفن الجثث، اضافة الى تعرض

١- ابن أبي اصيبعة، عيون، ص٥٩٥ .

٢- ابن النفيس، الموجز، ص١٣٩ -١٤٠-١٤١؛ ابن قيم الجوزية، الداء والدواء، أو الدواء الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تحقيق: عاطف صابر شاهين، المنصورة ٢٠٠٢م، ص٢٧٧ .

٣- المقريزي، الخطط، ج١، ص٨٨ .

٤- توا، فادي إلياس، المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك (٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٦م)، بيروت ١٩٩٨م، ص٣٧٥ .

٥- السبكي، تاج الدين أبو النصر (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، دار هجر للطباعة ١٩٩٢م، ج٢، ص٧١ .

٦- الحموي، الجوهر المكنون في الكلام على الطاعون، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٩٢ طلعت، ميكروفيلم ٣١١٥٩ ، ورقة ٢.

٧- مصطفى، كتخدا، رسالة في كشف آفات الوباء والطاعون، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٩١ طب ميكروفيلم ٣١١٤١ ، ورقة ٣ .

٨- الخوارزمي، جمال الدين أبي بكر، مفيد العلوم ومبيد الهموم، دمشق ١٩٠٦م، ص٣٨٧ .

٩- كتخدا، رسالة ، ورقة ٣ .

البلاد للفيضانات والمجاعات والقحط ، وهذا يؤدي الى اضطرار أصحابها الى أكل جيف الحيوانات الميتة والأطعمة الفاسدة، مما يؤدي الى ظهور مرض الطاعون ويعني الهلاك والموت لكل من يصاب به .

في القرن السابع الهجري/ الثالث عشر الميلادي لم يسجل سوى انتشار وباء واحد حصل في دمشق عام (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) وكان قويا حيث قضى على عدد كبير من سكان المدينة[١]. كما تعرضت طرابلس لوباء خلال (٧٣٤هـ/ ١٣٣٤م)، لم يعرف حجم الخسائر البشرية التي ألحقها بالمدينة[٢]. كذلك تعرضت مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي لأخطر مرض طاعون عام (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م)[٣].

كان الاعتقاد ان انتقال العدوى الى المنطقة قد وصل الى مصر بحرا، وهذا يدل على ان البحارة والتجار لعبوا دورا مهما في ذلك[٤]. وبوصول الوباء الى مصر فهذا يعني ان بلاد الشام أصبحت معرضة لهذا الخطر في أي وقت، لذلك ظهر في غزة وعسقلان[٥] وهما محطتان تجاريتان على الحدود مع مصر، يتضح من ذلك ان بداية انتشار الطاعون في المناطق الساحلية ثم ارتداده شرقا نحو التجمعات السكانية الهامة، من عسقلان الى عكا ثم القدس، ومن صيدا وبيروت باتجاه دمشق[٦].

لقد عمّ الوباء مختلف أنحاء مصر وتعطل الصيد من البحيرة بسبب موت الصيادين، حيث أصبح الأموات على الطرقات ولا يوجد من يدفنها[٧]. كما قضى الوباء على سكان بلبيس[٨] وامتلأت مساجدها وفنادقها بالموتى ومات سكان بيوت الشعر (العربان)[٩]. قضى الوباء على معظم البلاد المجاورة وخربت بلاد الصعيد على الرغم من اتساع أرضها[١٠].

لم يجدي نفعا استخدام الأدوية والعقاقيرفلجأ الناس الى الورع والتقوى بعد ان أيقنوا باقتراب أجلهم، كما لجأ بعض الناس الى التزود بأوراق تتضمن تفاصيل عن أسمائهم ومحل سكناهم حتى اذا صادفهم الموت في الطريق أمكن التعرف عليهم[١١].

١- الذهبي، العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح المنجد، الكويت ١٩٦٣م،ج١، ص٢٢٦.

٢- ابن أبي الفضائل، مفضل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، باريس ١٩٢١م، ص٥٩ .

٣- ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة، ج١٠، ص١٩٥- ٢٢٣ .

٤- ابن تغري، م . ن، ص٢٠٠؛ سالم، السيد عبد العزيز، تاريخ الاسكندرية وحضارتها في العصر الاسلامي، مطبعة معهد دون بوسكو، دار المعارف، الاسكندرية ١٩٦٧م، ص٣٠١.

٥- ابن تغري بردي، م . ن، ص١٩٥- ٢٢٣.

٦- م . ن .

٧- م . ن .

٨- مدينة بينها وبين فسطاط مصر عشرة فراسخ على طريق الشام . ياقوت الحموي، معجم البلدان، ج١، ص٥٦٧ .

٩- ابن تغري بردي، م . ن، ص٢٠٣ .

١٠- م . ن، ص٢٠٩؛ المقريزي، السلوك، ج٤، ص٩٠.

١١- ابن اياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م، ج٢، ص١٣٣ .

الخاتمة

برز الاهتمام بالجوانب الصحية والطبية عند المسلمين منذ الوهلة الأولى، فقد حفلت آيات القرآن الكريم بالعديد من التوجيهات التي تخص صحة الانسان وضرورة الاهتمام بها، كما تشهد السنة النبوية بذلك من خلال الكثير من الأحاديث التي جذبت الانتباه من أجل الاهتمام بهذا الجانب .

من النتائج التي انتهى اليها البحث، ان العصر المملوكي هو بحق عصر النهضة للطب الاسلامي، فقد كان لسلاطين وامراء الدولة المملوكية دور مهم في هذه النهضة، حيث كان الأطباء هم محط اهتمام السلاطين المماليك فقربوا بعضهم من القصر الملكي، وولوا بعضهم المناصب الهامة وأصدروا لهم مراسيم برئاسة الطب .

ويمكن القول ان علاقة السلاطين والأمراء المماليك بالأطباء كانت أحد العوامل الدافعة بقوة للنهضة الطبية . وقد شهدت مصر وبلاد الشام خلال هذا العصر نهضة طبية شاملة في مختلف فروع الطب قامت على أكتاف مجموعة كبيرة من الأفذاذ من الأطباء والبياطرة والصيادلة .

فقد برع الأطباء في مختلف التخصصات الطبية حيث ظهر منهم أكفاء كل في تخصصه، كما أثرى هؤلاء الأطباء المكتبة الطبية بالعديد من المؤلفات في علوم الطب المختلفة والتي مازال بعضها باقية حتى الآن مطبوعة أو مخطوطة، خير شاهد على مدى تفوق ونهوض أطباء مصر والشام في العصر المملوكي .

ولما كان للوقاية دور كبير في حماية الانسان من الكثير من الأمراض حيث تعد النظافة رأس الوقاية لان لها دور كبير في عدم اصابة الأبدان بالأمراض، لذلك سارع سلاطين وامراء المماليك بانشاء العديد من الحمامات بمصر وبلاد الشام من أجل توفير سبل النظافة الجيدة لأفراد المجتمع .

وكان لابد لنا عند دراسة الأمراض البشرية في مصر والشام في عصر الدولة المملوكية من معرفة الأسباب التي أدت الى انتشار الأمراض في هذين القطرين وتبين لنا ان هناك نوعين من الأسباب:

النوع الأول: الأسباب البشرية – على اعتبار ان الأمراض غالبا ما تنجم عنه وقد تمثلت في تلك السلوكيات الغير صحية لأفراد المجتمع مثل عدم الاهتمام بنظافة البدن والملبس وتلوث المأكل والمشرب والإسراف في الأكل والشرب وعدم الاهتمام بنظافة أماكن الإقامة والبيئة المحيطة ونقص الوعي الصحي إضافة الى الانحراف الخلقي . كما تمثل الحروب أحد اسباب انتشار الأمراض، وهي من الأسباب البشرية أيضا على أساس ان الحرب يصنعها البشر، وهي تستهلك القوى البشرية وتؤدي الى انتشار المجاعات، إضافة الى انها تخلف ورائها أعداد هائلة من القتلى يصعب دفنهم، وبالتالي تتحلل جثثهم وتتصاعد منها الأبخرة التي تؤدي الى انتشار الأوبئة والطواعين .

أما النوع الثاني: الاسباب الطبيعية – وتتمثل في طبيعة مناخ مصر والشام إضافة الى حدوث العديد من المجاعات والزلازل وانتشار الحشرات والآفات الزراعية، فقد كانت هذه أسباب طبيعية لانتشار المرض على اعتبار ان الانسان لا دخل له فيها بشكل مباشر .

وقد عرفت مصر وبلاد الشام خلال العصر المملوكي نوعين من الأمراض :

الأول: الأمراض المتوطنة وهي التي ترتبط بمكان أو بلد معين دون غيره لمسببات وعوامل تتعلق بمناخ هذا البلد أو التغيرات التي تطرأ عليه، ومياه الشرب والحالة التي عليها هذه المياه، وتشمل هذه الأمراض مرض الكوليرا وأمراض الحميات والسل والأمراض الجلدية، وكذلك أمراض الباطنة وأمراض العين وأمراض الفم والأسنان وغيرهما .

الثاني: الأمراض الوافدة وهي التي تعم خلقا كثيرا في بلد واحد في زمن واحد وقلما ينجو منها من يصاب بها، وقد تنتقل من بلد لآخر عن طريق الفارين من هذه الأمراض مثل مرض الطاعون .

وعن طرق العلاج التي كانت مستخدمة لعلاج هذه الأمراض خلال العصر المملوكي فقد ابتكر الأطباء طرقا وأساليب جديدة الى جانب طرق العلاج التي كانت معروفة من قبل .

المصادر العربية

القرآن الكريم

١- ابقراط الحكيم، الأهوية والمياه والبلدان، ترجمة: شبلي شميل، نشره بمجلة المقتطف سنة ١٨٨٥م .

٢- ابن أبي اصيبعة، موفق الدين أبو العباس أحمد (ت ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م)، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق: د. نزار رضا، دار مكتبة الحياة، بيروت.

٣- الأنطاكي، داود بن عمر(ت ١٠٠٨هـ/ ١٦٠٠م)، بغية المحتاج في المجرب من العلاج، دار الفكر، بيروت – لبنان ١٩٩٥م .

٤- ابن اياس، محمد بن أحمد (ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)، بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى زيادة، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

٥-أبو بكر الأزرق، الشيخ ابراهيم بن عبد الرحمن، تسهيل المنافع في الطب والحكمة، المشتمل على شفاء الأجسام وكتاب الرحمة، طبعة مصر ١٣٦٧هـ .

٦-ابن أبي البيان، سديد الدين أبو الفضل، الدستور البيمارستاني، تحقيق: القس بولس سباط، القاهرة ١٩٣٣م .

٧-ابن البيطار، ضياء الدين عبد الله بن أحمد (ت ٦٤٦هـ/ ١٢٤٨م)، الجامع لمفردات الأدوية والأغذية، المطبعة الأميرية، القاهرة ١٢٩١هـ .

٨-ابن تغري بردي، جمال الدين أبي المحاسن (ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م)، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية، القاهرة ١٩٦٣م .

٩-التيفاشي، شهاب الدين أحمد ، نزهة الألباب فيما لايوجد كتاب، تحقيق: جمال جمعة، رياض الريس للكتب والنشر، ط١، لندن ١٩٩٢م .

١٠-جالينوس، الحكيم اليوناني المعروف، مولده بعد زمان المسيح بتسع وخمسين سنة، كتاب جالينوس الى أغلوقن في التأني لشفاء الأمراض، تحقيق: محمد سليم سالم، القاهرة ١٩٨٢م .

١١-ابن حبيب، الحسن بن عمر(ت٧٧٩هـ/ ١٣٧٧م)، تذكرة النبيه في أيام المنصور وبنيه، تحقيق: محمد أمين، تقديم: سعيد عبد الفتاح عاشور، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦م .

١٢-ابن حجر العسقلاني، احمد بن علي بن حجر(ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م)، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق: الشيخ عبد العزيز عبد الله، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان ١٩٩٦م .

١٣-الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة، المحقق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث، مصر ١٩٦٩م .

١٤-إنباء الغمر بأبناء العمر، المحقق: د. حسن حبشي، المجلس الأعلى للشؤون الاسلامية، لجنة احياء التراث الاسلامي، مصر ١٩٦٩م .

١٥-الخوارزمي، جمال الدين أبي بكر، مفيد العلوم ومبيد الهموم، دمشق ١٩٠٦م .

١٦-الخوارزمي، أبو عبد الله محمد بن أحمد (ت ٣٨٧هـ/ ٩٩٧م)، مفاتيح العلوم، تقديم: عبد اللطيف محمد العبد، القاهرة .

١٧-الدينوري، أبو محمد عبد الله بن مسلم (ت ٢٧٦هـ)، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤١٨هـ .

١٨-الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله (ت ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م)، تاريخ الاسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تحقيق: بشار عواد معروف وآخرون، بيروت ١٩٨٨م .

١٩-العبر في خبر من غبر، تحقيق: صلاح المنجد، الكويت ١٩٦٣م .

٢٠-ابن ربن الطبري، أبي الحسن علي بن سهل، فردوس الحكمة في الطب، تحقيق: محمد الصديقي، طبعة برلين ١٣٢٨م .

٢١-ابن رشد، أبو الوليد محمد بن أحمد (ت ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م)، الكليات في الطب، تحقيق: سعيد شيبان وعمار الطالبي، طبعة القاهرة ١٩٨٩م .

٢٢-السبكي، تاج الدين أبو النصر (ت ٧٧١هـ/ ١٣٧٠م)، طبقات الشافعية الكبرى، تحقيق: د. عبد الفتاح محمد الحلو، ط٢، دار هجر للطباعة ١٩٩٢م

٢٣-السخاوي، شمس الدين محمد بن عبد الرحمن (ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٧م)، الذيل التام على دول الاسلام، حققه وعلق عليه: حسن اسماعيل، مكتبة دار العروبة، الكويت، ودار ابن العماد، بيروت ١٩٩٢م .

٢٤-الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الكتب العلمية، ٢٠٠٣م .

٢٥-ابن سينا، أبي علي الحسين بن عبد الله (ت ٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م)، القانون في الطب، بيروت .

٢٦-شيخ الربوة، شمس الدين أبي عبد الله، نخبة الدهر في عجائب البر والبحر، مطبعة الاكاديمية الامبراطورية، بطربورغ ١٨٦٥م .

٢٧-الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك (ت ٧٦٤هـ)، أعيان العصر وأعوان النصر، المحقق: علي أبو زيد، دار الفكر المعاصر، بيروت- لبنان، ١٩٩٨م.

٢٨-الصيرفي، الخطيب الجوهري علي بن داود (ت ٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م)، نزهة النفوس والأبدان في تواريخ أهل الزمان، مطبعة دار الكتب، القاهرة ١٩٧٠م.

٢٨-ابن طولون، شمس الدين محمد بن علي (ت ٩٥٣هـ)، مفاكهة الخلان في حوادث الزمان، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت- لبنان ١٩٩٨م .

٣٠-العباس، علي بن العباس (كان حيا قبل ٣٨٤هـ/ ٩٩٤م)، كامل الصناعة الطبية، المطبعة المصرية الكبرى، القاهرة ١٨٧٧م .

٣١-ابن عبد الظاهر، محي الدين أبو الفضل (ت ٦٩٢هـ/ ١٢٩٢م)، الروضة البهية في خطط المعزية، تحقيق: أيمن فؤاد سيد، ط١، مكتبة الدار العربية للكتاب، القاهرة ١٩٩٦م .

٣٢-ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد (ت ٦٦٠هـ/ ١٢٦٢م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، تحقيق: د. سهيل زكار، دمشق ١٩٨٨م .

٣٣-ابن العماد، عبد الحي بن أحمد (ت ١٠٨٩هـ)، شذرات الذهب في أخبار من ذهب، حققه: محمود الارناؤوط، دار ابن كثير، ط١، دمشق ١٩٨٦م.

٣٤-العمري، شهاب الدين أبي العباس أحمد (ت٧٤٩هـ/ ١٣٤١م)، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، ط١، المجمع الثقافي، أبو ظبي ١٤٢٣هـ .

٣٥-العيني، بدر الدين محمود (ت ٨٥٥هـ/ ١٤٥١م)، عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد محمد أمين، القاهرة ١٩٨٧- ١٩٩٢م

٣٦-ابن الفرات، ناصر الدين محمد (ت ٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م)، تاريخ ابن الفرات، مجلد ٨، العراق – البصرة ١٩٧٠م .

٣٦-ابن أبي الفضائل، مفضل، النهج السديد والدر الفريد فيما بعد تاريخ ابن العميد، باريس ١٩٢١م.

٣٨-ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبي بكر بن أحمد، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، منشورات المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، ط١، دمشق ١٩٧٧م .

٣٩-ابن قرة، ابن مروان بن زكريا، كتاب الذخيرة في علم الطب، القاهرة ١٩٢٨م .

٤٠-القزويني، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢هـ)، آثار البلاد وأخبار العباد، دار صادر، بيروت .

٤١-ابن القف، أبي الفرج ابن موفق الدين (ت ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م)، العمدة في الجراحة، حيدر آباد، الدكن، الهند .

٤٢-ابن قيم الجوزية، شمس الدين أبو عبد الله (ت ٧٥١هـ/ ١٣٥٠م)، زاد المعاد في هدى خير العباد، تحقيق: محمد علي صبيح، ط١، القاهرة ١٩٣٥م .

٤٣-الطب النبوي، تحقيق: د. حامد أحمد الطاهر، المكتب الثقافي للنشر والتوزيع، القاهرة ٢٠٠٤م.

٤٤-الداء والدواء، أو الدواء الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي، تحقيق: عاطف صابر شاهين، المنصورة ٢٠٠٢م .

٤٥-ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء (ت ٧٧٤هـ/ ١٣٤٣م)، البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب، دار الحديث، ط٥، القاهرة ١٩٩٨م

٤٦-مالك بن أنس، الموطأ، تصحيح: فؤاد عبد الباقي، القاهرة ١٩٥١م .

٤٧-المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت ١٤١٨هـ .

٤٨-السلوك لمعرفة دول الملوك، المحقق: محمد عبد القادرعطا، دار الكتب العلمية،ط١، لبنان- بيروت ١٩٩٧م .

٤٩-إغاثة الامة بكشف الغمة، نشر: محمد مصطفى زيادة، جمال الدين الشيال، دار الكتب والوثائق القومية، ط٣، القاهرة ٢٠٠٢م .

٥٠-ابن الوطواط، رشيد الدين محمد العامري (ت ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م)، غرر النقائض الفاضحة وغرر الخصائص الواضحة، بولاق- القاهرة .

٥١-ابن النفيس، علاء الدين بن أبي الحزم (ت٦٨٧هـ/ ١٢٨٨م)، الشامل في الصناعة الطبية، تحقيق: يوسف زيدان، أبو ظبي ٢٠٠٠م .

٥٢- الموجز في الطب، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، القاهرة ١٩٨٦م .

٥٣-المهذب في الكحل المجرب، المنظمة الاسلامية للتربية والعلوم والثقافة، الرباط- المغرب ١٩٨٠م .

٥٤-النويري، شهاب الدين أحمد (ت ٧٣٣هـ/ ١٣٣١م)، نهاية الارب في فنون الأدب، الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٢م .

٥٥-الورتلاني، الحسين بن محمد (ت ١٧٧٩م)، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة بيرفونته الشرقية، الجزائر ١٩٠٨م .

٥٦-ياقوت الحموي، الامام شهاب الدين أبي عبد الله (ت ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، معجم البلدان، دار صادر، بيروت ١٩٩٥م .

٥٧-اليونيني، قطب الدين أبو الفتح (ت ٧٢٦هـ)، ذيل مرآة الزمان، دار الكتاب الاسلامي، ط٢، القاهرة ١٩٩٢م .

المراجع العربية والمترجمة

١- ابراهيم، ابراهيم خميس، الأوبئة والأمراض التي تفشت بين الصليبيين في الشرق الأدنى وأثرها (٤٩١-٦٩٠هـ/ ١٠٩٨-١٢٩١م)، القاهرة ١٩٨٨م .

٢- أشتور، التارخ الاقتصادي والاجتماعي للشرق الأوسط في العصور الوسطى، نقله الى العربية: عبد الهادي عبلة، دمشق ١٩٨٥م .

٣- البيلي، محمد بركات، الأزمات الاقتصادية والأوبئة في مصر الاسلامية، القاهرة ١٩٨٦م .

٤- توا، فادي إلياس، المناخ والأسعار والأمراض في بلاد الشام في عهد المماليك (٦٤٨-٩٢٢هـ/ ١٢٥٠-١٥١٦م)، بيروت ١٩٩٨م .

٥- حسين، محمد كامل، تاريخ ودراسة لكتاب الحاوي، بيروت ١٩٧٧م .

٦- حسين، محمد كامل وآخرون، الموجز في تاريخ الطب والصيدلة عند العرب، المنظمة العربية للثقافة والعلوم، ادارة الثقافة الجماهيرية العربية الليبية .

٧- رضا، محمد رشيد بن علي، تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م .

٨- الشطي، شوكت ،الاسلام والطب ، كتاب في النظافة والحركة والرياضة في الاسلام وآثارها في صحة الأنفس والأجسام، دمشق ١٩٥٩م .

٩- طوقان، قدري حافظ، العلوم عند العرب، القاهرة ١٩٥٦م .

١٠- الفنجري، أحمد شوقي، الطب الوقائي في الاسلام، القاهرة ١٩٨٠م .

١١-علي، كرد علي، خطط الشام، دار العلم للملايين، بيروت ١٩٧١م .

١٢-علي، علي السيد، العلاقات الاقتصادية بين المسلمين والصليبيين، العين للدراسات الاجتماعية للبحوث، ط١، القاهرة ١٩٩٦م .

١٣-غوانمة، يوسف، الزلازل في بلاد الشام في العصر الاسلامي، ط١، دار الفكر، عمان- الاردن ١٩٩٠م .

١٤-المراغي، احمد بن مصطفى، تفسير المراغي، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٩٤٦م .

١٥-موافي، أحمد ثابت، صحة الفلاح، بحث ضمن كتاب، أبحاث في الطب الوقائي والصحة الاجتماعية، القاهرة١٩٤٠م .

المخطوطات

١-الحموي، محمد بن أحمد بن علي (كان حيا في القرن السابع الهجري)، البيان في كشف أسرار الطب، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٩٢ طلعت، ميكروفيلم ٣١١٥٩ .

٢-الجوهر المكنون في الكلام على الطاعون، مخطوط بدار الكتب المصرية، رقم ٥٩٢ طلعت، ميكروفيلم ٣١١٥٩ ، ورقة ٢.

٣-مصطفى، كتخدا، رسالة في كشف آفات الوباء والطاعون، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٩١ طب ميكروفيلم ٣١١٤١ .

٤-ابن منصور العين، عدنان بن نصر، رسالة فيما يحتاج اليه الطبيب عندما يستدعيه المريض، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٤٢، ميكروفيلم ٣١١٧٨.

معاجم لغوية

١- مجمع اللغة العربية: المعجم الوجيز، طبعة خاصة بوزارة التربية والتعليم، ١٤١١هـ/ ١٩٩٠م.

المقالات العربية والدوريات

١- شاكر، سيبر قنديل، أثر الاسلام وتعاليمه في الحفاظ على الصحة العامة للفرد والمجتمع، مجلة الطب الاسلامي، عدد ٣، الكويت ١٩٨٤م .

٢- صادر، حبيب، الأمراض المعدية في الأقطار العربية، مجلة المشرق، عدد ٣١، بيروت ١٩٣٣م.

٣-الصياد، ابراهيم، نظرة الاسلام للطب، مجلة الطب الإسلامي، عدد ٢، الكويت ١٩٨١م .

٤-فخر الدين، محمد، الأمية وصحة الفلاح، بحث ضمن كتاب، أبحاث في الطب الوقائي والصحة الاجتماعية، القاهرة ١٩٤٠م .

٥-فكري، عصام، الحضارة والمرض، مجلة عالم الفكر، المجلد الثاني، العدد الثالث، الكويت ١٩٧١م .

٦-قاسم، محمود الحاج، الطب الوقائي النبوي، مجلة الطب الاسلامي، العدد الرابع، الكويت ١٩٨٦م.

الرسائل الجامعية

١- الرواشدة، آمنة محمود سليمان، حيوات المرأة في العصر المملوكي في مصر والشام (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠- ١٥١٧)، دراسة سياسية اجتماعية فكرية، رسالة ماجستير، كلية الآداب- قسم التاريخ، جامعة اليرموك ١٩٩٧م .

٢- أبو زيتون، منال أحمد ابراهيم، المجاعات في مصر وبلاد الشام في العصر المملوكي (٦٤٨-٩٢٣هـ/ ١٢٥٠-١٥١٧م)، رسالة ماجستير، كلية الآداب، قسم التاريخ، جامعة اليرموك ١٩٩٨م .